رائدات الحركة النسوية في العراق المعاصر

أ. م. د. فراس سليم حياوي
جامعة بابل – كلية التربية الأساسية

م. د. وفاء كاظم ماضي
جامعة بابل – كلية التربية

المقدمـــة :

خضع العراق لسيطرة عثمانية طويلة امتدت لقرون عدة تلتها سيطرة بريطانية مباشرة خولها إياها نظام الانتداب ، فبدأت مرحلة جديدة في حياة العراق وعلى جميع الصعد ، وكان طبيعياً ان تتأثر المرأة بوصفها نصف المجتمع ، بجميع معطيات الواقع الجديد بسلبه وإيجابه ، واعتمد ذلك في العديد من حلقاته على مدى وعيها الذي بدأ بالتدريج يتجاوز ما خيم عليه من جمود على مدى مئات السنين السابقة ، بما في ذلك خلال العهد العثماني .

لذلك شهدت الحقبة الزمنية الممتدة للأعوام (١٩٢١ – ١٩٥٨) تطوراً ملموساً وعلى كافة الأصعدة ويقف في مقدمتها التعليم ونظرة المجتمع ، ومدى حاجته اليه باعتباره من النقاط المهمة التي يعتمد عليها في تطور المجتمع ، كونه أهل المرأة العراقية لطرق العديد من الأبواب أول مرة في حياتها الجديدة التي يمكن مجازاً تحديد إعلان الانتداب بداية إطارها الزمني ، ومن هذه الأبواب الصحافة النسائية التي نشأت بفعل التطورات السياسية والاجتماعية ، ونتيجة للتفاعلات المادية الملموسة للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع العراقي، فظهرت رائدات في هذا المجال كانت أبرزهن (بولينا حسون) و (مريم نرمة) وغيرهن من الصحفيات الرائدات ، وفضلاً عن الصحافة ، برزت رائدات في مجال الجمعيات النسوية التي برزت كظاهرة اجتماعية في الوطن العربي ، بداية القرن العشرين والتي اتخذت من الأعمال الخيرية هدفاً لعملها ، وأن معظم الجمعيات النسوية عملت ضمن إطارها النسائي ، دون المحاولة إذابة الرواسب العازلة بين مجتمع الرجال والنساء ، فعملت ضمن هذا الإطار على زيادة فاعلية المرأة في المستوى الاجتماعي من خلال عمل الجمعيات الذي أعطى للمرأة ثقة بنفسها وأثرها في

المجتمع وجعلها تتبوأ مكانة سمحت لها بالمطالبة بحقوقها الاجتماعية . مما مكنها السعي مستقبلاً للمطالبة بحقوقها السياسية والاقتصادية التي حصلت عليها بعد هذه الحقبة إثر سعيها الدؤوب لنيل مكانتها الاجتماعية في مجتمع كانت تعاني فيه من ضغوط اجتماعية جعلتها تعيش في عالم خاص بها ، فحرم عليها الالتحاق بالمدرسة ونيل حقوقها العامة ، وحين التحدث عن المساواة بين الجنسين يعتبر الأمر خرافة ، فالرجل يعد هو الأصل والمرأة هي الفرع . وفي ظل هذه الظروف الاجتماعية لمعت أسماء نسائية تخطت كل الحواجز وحطمت كل القيود الاجتماعية لتسجيل أسماءها في سجل الرائدات العراقيات في مجال السياسة والعمل الصحفي والجانب التعليمي ، وهذا ما تم التركيز عليه في هذا البحث الذي اعتمد على المنهج التحليلي في عرض المادة العلمية التي اعتمد في جمعها على مجموعة مهمة من المصادر التاريخية التي تناولت هذه الحقبة من تاريخ العراق ، فضلاً عن الكتب فقد اعتمد على مجموعة هامة من الدوريات النسائية منها بشكل خاص ، والتي ظهرت في الحقبة قيد الدراسة ، والتي حفظت لنا تاريخاً مهماً فيما يتعلق بالنشاط النسوي وعلى الأصعدة كافة .

بداية الحديث عن رموز مضيئة للمرأة العراقية حقبة العهد الملكي (١٩٢١ — ١٩٥٨) ، لابد لنا من فتح نافذة ولو قليلة على الوزن الديمغرافي الذي كانت تلعبه المرأة سواء في هذه الحقبة أو الحقب السابقة (بداية القرن العشرين) ، لنتمكن بالتالي من تقدير الدور الذي تلعبه في المجتمع ، وهل يتناسب مع وزنها الديمغرافي أو لا ؟ .

أشارت المصادر التاريخية ، والأشخاص المعاصرين للأحداث التاريخية بداية القرن العشرين ، انه من الصعوبة الوقوف على عدد صحيح لأعداد الإناث في العراق ، فقد كانت تجربة إجراء إحصاء للسكان خاصة للإناث ، تواجه معارضة شعبية واسعة ، وما جرى عام (١٩٠٤) يؤكد ذلك عندما انفرد الوالي (عبد الوهاب باشا) وتنفيذاً للفرمان العثماني الصادر من استانبول ، بإجراء تعداد خاص للإناث ، من معارضة شعبية من قبل شيوخ العشائر والأهالي الذين خرجوا بمظاهرات في مناطق باب الشيخ والصدرية ورأس الساقية وفضوة عرب ، يشاركهم رؤساء محلات بني سعيد ومنبر على والفضل [١] ، وقد تسلح بعضاً من المتظاهرين بالقامات والخناجر والبنادق وتقدمتهم الطبول والأبواق ، وهم يهتفون بالأهازيج المعبرة عن غضبهم ويناشدون في احدى أهازيجهم (سيد احمد الكيلاني) يعده من كبار رجال الدين في بغداد قائلين :

سيد احمد تلهب نيرانه

سيد احمد يضوي ديوانه

سيد احمد المذخور أنت

سيد احمد احجي بزايدنه [٢]

وإزاء هذا الغضب الشعبي ، ألغي أمر تنفيذ إجراء إحصاء لإناث العراق ، والشواهد التاريخية تنقل لنا صوراً مماثلة جرت في مناطق أخرى من العراق ، ومنها ولاية الموصل التي قابلت قرار واليها (مصطفى يمني باشا) بإجراء إحصاء للسكان ، ومنهم الإناث بغلق الأسواق والخروج بمظاهرة استنكارية ، كان من نتائجها أن قرر الوالي التراجع عن قراره ، وإلغاء الإحصاء [٣] .

وخلال العهد الملكي جرى أكثر من تعداد للسكان [٤] ، ولكن رافقت هذه التعدادات عوائق اجتماعية واقتصادية أدت أثرها دون إعطاء صورة واضحة لعدد سكان العراق ، ومنهم الإناث طبعا ، وعموماً فقد تزايد سكان العراق في تاريخه الحديث والمعاصر بوتيرة ثابتة ، ففي غضون قرن واحد من أواسط القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين ، ارتفع عدد السكان بمقدار لا يقل عن خمس مرات من مليون وربع الى أكثر من ستة ملايين ونصف المليون [٥] .

لا يتوقع المرء تحديداً دقيقاً على نحو مطلق للوزن الديموغرافي للإناث في العراق في أواخر العهد العثماني وخلال العهد الملكي ، فيما يخص السكان عموماً لأسباب معروفة تقف بمقدمتها العادات والتقاليد المتوارثة ، لكن استناداً للدراسات العلمية للرائد الدكتور (محمد سلمان حسن) [٦] ، والى عدد من التقارير والوثائق الرسمية والتي يعود تاريخها الى ما قبل عام ١٩٤٧ ، يمكن تحديد الإطار العام للوزن الديموغرافي للإناث بالشكل التالي :

في أواخر العهد العثماني (١٨٦٧) حوالي ٥٠ ٪ من مجموع السكان البالغ مليون وربع المليون نسمة وحوالي ١,٨ مليون عام ١٨٩٠ [٧] . أما تقديرات عام ١٩٢٧ (عهد الانتداب) فقد حددت عدد سكان العراق (٢,٩) مليون (١,٥) من الذكور و (١,٤) مليون من الإناث [٨] ، فيما تشير نتائج الاحصاء الرسمي الأول في العام ١٩٤٧ ، الى أن مجموع نفوس العراق بلغ ٤,٨ مليون نسمة ، (٢,٣) مليون من الذكور وحوالي (٢,٦) مليون من الإناث [٩] ، وبموجب إحصاء العام ١٩٥٧ وصل مجموع سكان العراق الى (٦,٥) مليون نسمة ، بلغ عدد الإناث منهم أقل من عدد الذكور بما يربو على (٥١) ألف نسمة [١٠] .

إن مجرد هذه الاختلافات في تقدير نسبة الإناث والذكور تؤلف واحدة من المؤشرات المهمة للخلل المتوقع في التقديرات المبكرة والاحصاءات المحددة المتأخرة للسكان وتركيبهم في العراق ويلاحظ الشيء نفسه في الدراسات القليلة عن المرأة في هذا المضمار (١١) .

النساء الرائدات في مجال التعليم

مر التعليم النسوي في العراق بمراحل متعددة تأثر في أثنائها بعاملي السياسة والدين، ففي حقبة الحكم العثماني لم تملك المرأة من وسائل التثقيف والتعليم شيئاً يذكر، كونها كانت تعيش في ظروف متخلفة فرضها عليها تخلف المجتمع نفسه ، ولهذا لم تشهد هذه الحقبة سوى أعداد قليلة من المدارس والكتاتيب التي اقتصرت على تعليم القراءة والكتابة ، وإذا ما استثنينا مدارس الأقليات غير المسلمة (١٢) فان تعليم المرأة يكاد ينعدم (١٣) .

ولعل تقاليد المجتمع العراقي وعاداته المترسخة التي كانت ترى في خروج الفتاة من بيتها من اجل التعليم أمراً يؤدي الى إفسادها (١٤) هي التي وقفت وراء قلة عدد مدارس الإناث ، فضلاً عن أن العراق عاش بمعزل عن تيارات النهضة الفكرية والثقافية الناشئة في مصر وسوريا نهاية القرن التاسع عشر ، تلك النهضة التي دعت الى تحرير المرأة وضرورة إفساح المجال للحصول على حقها في التعليم .

بدا تشدد المجتمع العراقي وتعصبه تجاه التعليم النسوي يضعف ويحل محله اتجاه مغاير بفضل تيارات النهضة الفرنسية التي بدأت تنتشر في أرجاء الدولة العثمانية والتي نتج عنها فتح عدد من مدارس الإناث في أرجاء الوطن العربي (١٥) ، فضلاً عن تأثيرات النهضة الحديثة المنبعثة من بلاد الشام ومصر التي بدأت تياراتها الفكرية تجد صداها الواسع في العراق عن طريق الصحف والمجلات التي تصل للعراق ، والتي حملت بين طياتها أفكاراً ومقالات تدعو لوجوب تعليم المرأة بأقلام رواد النهضة السنوية أمثال (قاسم أمين) . وقد تركت هذه الصحف والمجلات أثرها الواضح الذي نجم عنه الدعوة لفتح أول مدرسة للإناث في بغداد ، والتي افتتحها الوالي في العام ١٨٩٩ (١٦) في محلة الميدان الجديدة ، والمعرفة باسم (اناث رشدية مكتبي) والتي كانت تضم الدراسة الابتدائية والمتوسطة وتدرس علوم القراءة ، مبادئ الحساب ، الجغرافية والتاريخ العثماني ، وبلغ عدد طالباتها (٩٥) طالبة (١٧) وكانت السيدة (أمنية مشكور خاتم)

معلمة أولى للمدرسة (مديرة) ، تعاونها المعلمات زينب خاتم ، أم كلثوم خاتم ، مدام اليانور وفاطمة خاتم [١٨] .

عدّ إنشاء هذه المدرسة بمثابة حجر الأساس في حركة التعليم النسوي التي شهدت ، بعد هذا التاريخ ، تصاعداً تدريجياً وتطوراً ملحوظاً ، ففي العام (١٩٠٨) قامت نظارة المعارف العثمانية بافتتاح ثلاث مدارس للإناث في بغداد ، الأولى في جانب الكرخ والثانية في محلة البارودية في الجانب الشرقي والثالثة في محلة باب الشيخ في الجانب الشرقي أيضاً [١٩] .

ومع بداية سنوات الانتداب البريطاني للعراق شهد عدة دعوات من السيدات المثقفات الى حكومة الانتداب والتي تدعوا الى فتح مدارس أخرى للإناث ، لكن هذه الدعوات شهدت تلكأ في استجابة حكومة الانتداب البريطانية ، الى أن قامت الست (زهرة خضر) [٢٠] بتخطي كل العقبات والمعوقات وافتتحت مدرستها عام (١٩١٨) وبلغ مجموع الطالبات المنضمات إليها (٤٠) طالبة ، وقوبل عمل الست زهرة بالإعجاب لجرأتها وعزيمتها وقوتها ، إلا أنها في ذات الوقت تعرضت للنقد الحاد من قبل المعارضين ولم تتلق ، دعماً يذكر من حكومة الانتداب [٢١] ، واستمرت الست زهرة بالعمل في هذه المدرسة حتى العام (١٩٢٠) عندما قامت (المس بيل) بالحث لفتح مدرسة للإناث في الخامس والعشرين من كانون الثاني عرفت باسم مدرسة الإناث الرسمية . فقد قامت نظارة المعارف بالطلب من الست زهرة بغلق المدرسة وانضمت لكادر المدرسة التدريسي الذي كان مكوناً من الست (ارسيال خانم) نائبة المديرة ، والمعلمات زهرة خضر ، نظيرة خانم ، صبرية خانم ، هلن سعدي خانم ، شلن سعدي خانم ، افتخار خانم ، مادبلت خانم ، وجميلة خانم [٢٢] . وقد نجحت هذه المدرسة الأولى من نوعها والتي كانت تدرس مواد اللغة العربية ، اللغة الانكليزية، الحساب ، التاريخ ، الجغرافية ، التدبير المنزلي ، علم حفظ الصحة ، الرياضة والعلوم القرآن ، في تحقيق أهدافها المنشودة بفضل معلمات المدرسة ، الأمر الذي أسهم في تشجيع حكومة الانتداب على الاستمرار في هذا المنهج في ألوية العراق الأخرى ، فقامت في العام (١٩٢٠) بتأسيس مدرسة مماثلة في لواء الموصل، وثانية في لواء الديوانية، والثالثة في جانب الكرخ في بغداد[٢٣]

استمر التصاعد النسبي في أعداد المدارس الابتدائية ، لكن هذا الأمر لم يسري على التعليم الثانوي الذي لم يشهد افتتاح مدرسة ثانوية إلا في العام الدراسي ١٩٢٩ – ١٩٣٠ في لواء بغداد ، ولم تنتمي إليها في سنتها الأولى سوى (١١) طالبة ، وهنا نرى من المستحسن أن نشير

على نحو خاص ، الى واحدة من رائدات التعليم الثانوي النسوي في العراق ، وهي السيدة (أمت السعيد) التي بذلت جهوداً كبيرة لتطوير أول مدرسة ثانوية للإناث في العراق ، ثم أشرفت فيما بعد على شؤون التعليم النسوي في وزارة المعارف ، لتعد بذلك واحدة من فضليات الأديبات حسب تقويم احد الباحثين (٢٤) .

إزاء الاستمرار في افتتاح مدارس الإناث ، واجهت وزارة المعارف مشكلة توفير كادر للتدريس بهذه المدارس ، فقامت عام (١٩٢١) بإنشاء صف للمعلمات في مدرسة البنات المركزية في بغداد تم تغيير اسمه في وقت لاحق الى دار المعلمات الأولية التي كانت تستقبل خريجات المدارس الابتدائية اللواتي يقضين في الدار سنتين دراسيتين ، وضم الرعيل الأول من خريجات هذا الدار الطالبات :

حسيبة الشيخ داود، فهيمة إبراهيم ، مديحة توفيق برتو، نزهت حميد ، مكية صالح، حسيبة نجيب ، عفيفة توفيق وصيفة لطفي ، وصيفة واصف ، مقبولة عزت ، خديجة صالح وجميلة علي (٢٥) .

شهدت الحقبة التاريخية الممتدة قبل العام ١٩٣٢ وحتى العام ١٩٤٥ تطورات سياسية ، اقتصادية واجتماعية تركت أثرها الواضح على الوضع الاجتماعي للمرأة ، فقد شهدت انعطافة جديدة في تاريخ التعليم النسوي ونقطة تحول ملموسة في مسيرتها ، التي لم تكتفي بالفرص التعليمية الممنوحة لها ، بل سعت لطرق أبواب التعليم العالي ، الذي كان مجرد التفكير بولوج هذا المضمار يعني سيرها بطريق يحمل عقبات كثيرة ، فالقبول بالكليات كان مقتصراً على الذكور وذلك لوضع المرأة الاجتماعي فإذا ما فكرت الفتاة بإكمال تعليمها العالي اضطرت للسفر خارج العراق ، على الرغم من أن قانون الكليات الأساسي لم يكن يعارض انضمام الإناث للكليات ، لكن المسؤولين وأساتذة الكليات كانت تحكمهم التقاليد والعادات المتوارثة التي تعارض دراسة الإناث المختلطة مع البنين ، لذلك شهدت هذه الحقبة سفر عدد من الفتيات الى خارج العراق لإكمال تعليمهن العالي ، وهنا تسجل السيدة (مديحة صالح زكي) كأول عراقية رائدة تسافر الى الخارج ، وعلى نفقتها الخاصة ، ففي العام ١٩٢٦ سافرت الى فرنسا لدراسة طب الأسنان ، وبعد عشرة أعوام أي في العام ١٩٣٦ سافرت مرة أخرى للحصول على شهادة الدراسات العليا في طب الأسنان ، وشهد العام ذاته أي عام ١٩٢٦ تحولاً آخر بسفر أول بعثة حكومية تضم سيدتين هما الرسامة السيدة (مديحة ياسين عمر) والسيدة (مارتا عساف) (٢٦) .

على أن التطور الأكثر وضوحاً جاء في العام (١٩٣٣) من قبل الطالبة (ملك غنام) التي سجلت وبكل فخر ، بعدها أول عراقية تدخل الكلية الطبية رغماً عن العقبات الكبيرة التي لاقتها عند قبولها في الكلية ، فيذكر والدها الصحفي الرائد (رزوق غنام) انه تقدم بطلب عام ١٩٣٢ الى عمادة الكلية لقبول ابنته ، لكن طلبه رفض ، فطرق بعدها أبواب مدير صحة بغداد التي رفضت هي الأخرى هذا الطلب الذي يعد الأول من نوعه ، فما كان منه إلا أن يتشرف بمقابلة الملك فيصل الأول ، الذي أصدر بنفسه قراراً يقضي بقبول ابنته كأول طالبة في الكلية الطبية [٢٧] ، وفي خطوة متشابهة سجل العام (١٩٣٦) التحاق أول طالبة في كلية الحقوق هي (صبيحة الشيخ داود) [٢٨] .

وكانت هذه الخطوة عاملاً مشجعاً لبقية الإناث لطرق أبواب التعليم العالي من جهة ، ومحفزاً لوزارة المعارف التي شملت انتماء الطالبات للكليات ، ففي العام ١٩٣٦ فتحت دار المعلمين العالية أبوابها أمام الطالبات مسجلة انتماء (١٥) طالبة تخرجت في العام الدراسي ١٩٤٠ – ١٩٤١ وكان من أبرزهن : بدرية محمد علي الهاشمي ، بدرية محمد علي الوكيل ، اليس سمعان ، عزة الاسترابادي ، لطيفة متي كرومي ، زهرة باقر الجلبي ، جوزفين صالح ، هيلة مراد ، وفي العام الدراسي ذاته (١٩٤٠ – ١٩٤١) تخرجت أول طالبتين من كلية الصيدلة والكيمياء ، هما الآنسة (جوزفين برجوني) التي تعد أول صيدلانية تمارس العمل الحر والسيدة (رحيمة يوسف) [٢٩] .

شجعت هذه الخطوات الإيجابية عمادات الكليات الناشئة حديثاً على فتح أبوابها للإناث أسوة بالذكور ، فكلية الهندسة المؤسسة في العام ١٩٤٢ ، استقبلت في العام ١٩٤٦ طالبتين هما (سعاد علي مظلوم) و (جوزفين غزالة) اللتان تخرجتا عام ١٩٥٠ [٣٠] وخطت كلية الآداب والعلوم التي تاسست عام ١٩٤٩ ، خطوة مماثلة عندما انضمت إليها في سنتها الأولى (١٤) طالبة تخرجن في الدفعة الأولى المتخرجة عام ٩٥٣ / ١٩٥٤ وكان من أبرزهن :

جانيت توفيق قصير ، جوليا غريب ، حياة جميل حافظ ، خالدة ضياء الدين ، سافرة جميل حافظ ، سعاد حبيب سرسم ، ناهدة صبري رسام ، نجلة مظهر ، نصرية نعمان الأعظمي ، وديعة طه النجم وفيوليت سليم .

أما كلية التجارة والاقتصاد ، المؤسسة في العام ١٩٤٧ فقد تخرجت الدفعة الأولى من خريجاتها في العام ١٩٥٠ – ١٩٥١ فقد خرجت دفعة من الطالبات أبرزهن : رحمة طويق ، جوليت حسقيل ناجي وسمحة يامين [٣١] .

حفز هذا التوسع الكبير في أعداد الطالبات المنتميات للكليات من جانب ولسد النقص الحاصل في أعداد المعلمات والمدرسات من جانب آخر ، وزارة المعارف لتأسيس معهد الملكة عالية الذي سار على غرار نهج دار المعلمين العالية ، الذي رفعت درجته الى كلية في العام ١٩٤٨ ، والتي عرفت باسم الملكة عالية ، والتي استقبلت في سنتها الأولى (٨٩) طالبة ، استمرت بالتوسع حتى أبدل اسمها بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ باسم كلية التحرير للبنات[٣٢] لتكون بذلك أول كلية رائدة للبنات.

هذه ومضات من الرائدات الأوائل في مجال التعليم النسوي حقبة العهد الملكي .

الرائدات في مجال العمل الوطني والسياسي

تعد ثورة العشرين من اهم الأحداث ، إن لم نقل على رأسها في مجال الأحداث السياسية بوصفها نقطة تحول كبرى في حياة العراق السياسية في بداية مرحلة ما بعد إعلان الانتداب . فبقيام هذه الثورة انتظم الشعب العراقي بأجمعه وانطلقت قواته لقتال الانكليز ، وفي خضم الثورة برزت المرأة التي سجلت قسماً من المشاركة على الرغم من وضعها الذي لم يسمح لها بأداء دور مباشر في معارك الثورة ، إلا إن مساهمتها جاءت في ضوء إمكاناتها من ناحية وموقف المجتمع من مشاركتها من الناحية الأخرى ، فعلى الرغم من ظروف التخلف التي عاشتها المرأة ، والتي عطلت الكثير من طاقاتها لكنها أدت أثراً مشرفاً في سلسلة كفاح الشعب العراقي ونضاله ضد الاستعمار فالمرأة الريفية وعلى الرغم من وضعها المتخلف والمتردي ومسؤوليتها المتمثلة بقيامها بالأعمال الحقلية والمنزلية ، فقد سارت خلف الثوار حاملة زادهم وأمتعتهم وجالبة الماء لساحات القتال ، مثيرة حماس الثوار بزغاريدها التي حثت على النخوة والجهاد ، والتاريخ يحفل بالأمثلة الكثيرة على بطولة المرأة الريفية ، ولعل أبرزهن شاعرة ثورة العراق الكبرى الشاعرة (جلثومة) من عشيرة بني عارض[٣٣] ، والتي كانت تقطن ناحية الرمثية ، فقد شارك ثلاثة من أولادها في معارك الثورة فضلاً عن زوجها وكانت تقف وسط المعركة عند اندلاعها مشاركة الثوار جهادهم وهي تنشد قائلة :

وين أخوتي الطيبين أهل الحمية　　　　انطوتلف للدين بالمية مية
من عادة الطيبين تنطي ضحية

وفي أحدى المعارك قتل ولدها الأكبر ، فوقفت على جثته وهي تنشد أبياتاً شعرية تحييه من خلالها على شجاعته فتقول :

عفية اوليدي شيال راسي   ردتك ترد ذولة الجواسي
وبموتتك كويت باسي [٣٤]

عقب ذلك قتل زوجها في واقعة العارضيات الأولى ، فرثته قائلة :

عمرك كضيتة بعز يميمر   اولا واحد اليدناك يكدر
وبعزمك اتعارج العسكر   ولموطنك معرض مكنطر
الفخر الك جاورت حيدر

وفي معركة العارضيات الثانية قتل ولدها الثاني (جبر) فلم يثن ذلك من عزيمتها ، فندبته قائلة :

شلتك ابطني تسعة اصحاح   واحفظتك من اجله شمس ضخصاح
الما بين كومك كمر وضاح   ردتك لمثل اليوم سفاح
تطارد (الصوجر) اهل الأرماح   شيال راسي ابيوم الصياح

وظلت هذه المرأة البسيطة تثير الحماس في نفس ولدها المتبقي (حاتم) الذي لم يترك سوح النضال حتى اليوم الأخير للثورة بتشجيع مباشر منها [٣٥] .

لم تقتصر الشواهد على مشاركة (جلثومة) ، فهناك (انجيدة) العراقية التي فقدت زوجها في واقعة البواحر ، وكان لها ولد لم يتجاوز عامه الثامن عشر ، ولم يمض على زواجه سوى سبعة أيام ، كانت تحثه للنزول لميدان المعركة ليحل محل والده من خلال زغاريدها التي كانت تطلقها لإثارة حماسة الثوار في آن واحد ، وقتل ولدها هذا في معركة القطار ووسط نيران المعركة حملته وهي تزغرد وتهوس قائلة ((عربيد اسمك أمك يا هيبة)) [٣٦] .

أدت الأهازيج والهوسات الشعبية التي أطلقتها المرأة الريفية خلال معارك الثورة أثراً مميزاً في إثارة وبث روح المقاومة ضد الانكليز ، فعندما أمر (شعلان أبو الجون) أفراد عشيرته باقتلاع خشب سكة الحديد الممتدة من السماوة حتى الرميثة ساهم رجال ونساء العشيرة في هذا العمل وعند وصول قطار السلطة المحتلة رأتهم امرأة فصاحت يا عمام فقالوا نعم ،

فانشدت هوسة تقول فيها (حل فرض الخامس كمولة) أي ان هذا موعدكم مع ما فرضه الله عليكم من الجهاد فهو عند المسلمين الفرض الخامس ومن تقاعس عنه ، ليس منهم [٢٧] .

ولم تقل (ونسة) شجاعة عن (جلثومة) أو (انجيدة) ، فبعد ذهاب والدها أعزلاً لساحة القتال ومشاهدته نيران المعركة وطائرات العدو ، عاد الى البيت مسرعاً فعاتبته ابنته على موقفه هذا ، فعلله لعدم امتلاكه السلاح للمشاركة في القتال ، فما كان منها إلا أن ذهبت الى شيخ عشيرتها الذي زودها بسلاح لوالدها الذي استشهد على إثر ذلك في ساحة المعركة ، وبعد سماعها نبأ استشهاده زغردت وحمدت الله الذي شرفها بين قومها لاستشهاد والدها الذي لبى فتوى أئمة الدين ، وفدى الوطن [٢٨] .

هذه الأمثلة هي جزء من سجل بطولي حافل لنضال المرأة العراقية في الريف التي نزلت الى ساحات القتال للمشاركة في قتال الانكليز وبما تهيأت لها فرصة ، على أن مشاركة المرأة الريفية جاءت على نحو أفضل من مشاركة المرأة في المدينة ، وهذا تابع من طبيعة معيشة المرأة الريفية التي ما برحت مشاركة أخيها الرجل في الأعمال الحقلية ونزولها الى ميدان العمل دون معوقات ، وهي سافرة الوجه ، بينما اختلف الوضع عن ذلك في المدن إذ نزلت المرأة هنا الى ميدان الجهاد ، وبالصورة التي رسمتها لها طبيعة الحياة المدنية من جهة وتماشياً مع الظروف الاجتماعية التي أسدلت ستاراً بين المرأة وبروزها في المجتمع من جهة أخرى ، فكانت مشاركتها تدريجية غير مباشرة ، وصامتة أن جاز القول ، فقد سجلت أيام الثورة مواقف للمرأة في كبريات المدن العراقية ، ولاسيما في بغداد تحديداً فقد وقفت قسم منهن الى جانب أزواجهن للولوج في ساحات القتال ، حتى ولو على حساب اعتقالهم فحسبما أكد قسم من المصادر فان مجموعة من السيدات من بينهن عقيلة الشيخ احمد داود [٣٩] ، ألفت لجنة لعضد الثورة من خلال جمع الأموال للمجاهدين ونصرتهم عن طريق جمع التبرعات العينية والنقدية لهم ، والتقت اللجنة ، كذلك بقسم من السيدات العراقيات وحثهن على استحسان الاسهام في هذه الثورة ، مما حظي باستحسان وتشجيع قيادة الثورة [٤٠] .

تمثل هذه المساهمة المتواضعة العفوية في الغالب للمرأة العراقية في ثورة العشرين خطوة على درب إدراك تلك المرأة لشخصيتها وإدراك غير متكامل لحقوقها ، رافقها شعوراً لا يخلو من قدر كبير من الإدراك الواعي بظلم المستعمر ، مما مهد الطريق ، على نحو أو آخر الطريق

أمام الواعيات منهن للربط بين واقعهن المزري مع النضال الوطني السياسي العام ، وهذا يمثل ، دون شك ، تحولاً إيجابياً على درب تحرك المرأة العراقية .

أثر التقدم الذي أحرزته المرأة إثر انخراطها في مجال التعليم الثانوي والعالي ، فقد ظهرت طبقة مثقفة وواعية من النساء اللواتي استوعبن التطورات السياسية التي كانت تحيط بالعراق خاصة والوطن العربي عامة ، لذلك حفظت لنا السجلات والوثائق أسماء لنساء عدة ساهمن بالانتفاضة التي وقعت أحداثها داخل العراق ، فقد كان للمرأة مساهمة خاصة في انتفاضة عام ١٩٥٢ تمثلت بمشاركة عدد من طالبات الكليات في أحداث الانتفاضة الأمر الذي عرضهن للاعتقال ثم الفصل من مقاعد الدراسة نتيجة لاشتراكهن في الاضطرابات التي رافقت الانتفاضة وكان من بينهن : بلقيس شرارة وسافرة جميل حافظ من كلية الآداب والعلوم وبشرى عبد الجليل برتو من كلية الصيدلة والكيمياء فضلاً عن اخريات من كليات أخرى وهن سعاد سعيد محمد ، سهام إبراهيم الخالد ، وديعة النعيم وثمينة ناجي يوسف [٤١] .

لم يقتصر الأمر عند الاعتقال والفصل من الدراسة ، بل تعداه للمحاكمة أمام المجالس العرفية ، وهذا ما تعرضت له كل من (باكزة أمين زكي و حسيبة حسين القره غولي) الطالبتان في كلية الآداب وتم الإفراج عنهن بعد المحاكمة ، بعد أن منعن من إكمال دراستهن [٤٢] .

شجعت هذه المساهمة المتميزة للمرأة بهذه الانتفاضة ، بقية النسوة ، خاصة طالبات الكليات ، للاسهام بالأحداث المستقبلية التي وقعت بالعراق ، فعندما وقع العراق على حلف بغداد ثار الشعب وبدأ الاضراب يعم مناطق العراق كافة والذي بدأ في ١٥ / كانون الثاني / ١٩٥٥ ، واستمر لمدة أسبوع ، أثراً متميزاً ، من خلال مشاركتها بالمظاهرات وإخفاء الشعارات المرفوعة في المظاهرات تحت عبيهن وبرزت منهن حسيبة شايع الزبيدي ومعينة نايف الغنام ونوار حلمي [٤٣] .

وبعد أن وقع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، فقد عمت المظاهرات المؤيدة لمصر في نضالها ضد المستعمرين ، فشهدت شوارع بغداد وبقية الألوية نشاطات موسعة كان للمرأة فيها دور بارز وواضح ، ففي منطقة الحي في العاصمة بغداد ، قام الأهالي بعصيان مسلح ساهمت فيه المرأة مساهمة عفوية فقد قامت أحدى نساء الحي بالتصدي لرجال الشرطة الذين طوقوا المنطقة بالطابوق وراحت تهتف (عاش الوطن روحي فداء للوطن) ، ولكن الشرطة جابهت الموقف بقوة فسقطت هذه المرأة شهيدة هي وعدد من نساء الحي ، في حين كانت الإصابة نصيب عدد آخر من النسوة [٤٤]

وتكرر هذا الأمر فيما يخص المظاهرة التي قامت في البصرة والتي كان نصيب المرأة الاعتقال ، ومنهن (ليلى رشيد) ، في حين تصدت الشرطة للمظاهرة التي قامت في الحلة بقيادة (معينة النايف) والتي بدأت من ثانوية الحلة وطافت في شوارع المدينة تأييداً لمصر في عدوانها ضد المستعمرين .

إن مساهمة المرأة العراقية في هذه الانتفاضات جعلها تدرك أثرها فقد أعطاها زخماً لخوض مرحلة جديدة في نضالها السياسي من اجل نيل حقوقها السياسية التي لم تنلها كاملة إلا بعد هذه الحقبة بسنوات عديدة .

الرائدات في مجال الصحافة

شهدت حقبة الحكم الملكي البداية الحقيقية لنشوء الصحافة النسوية وأن نشوءها قد جاء متاخراً بالمقارنة مع نشاتها في مصر وبلاد الشام فقد كانت هذه الصحف سباقة في الدعوة لقضية تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها .

من الثابت تاريخياً أن مجلة (ليلى) لصاحبتها (بولينا حسون) ذات الأصل الفلسطيني ، تعد الرائدة في مجال الصحف النسوية العراقية ، فهي المجلة الأولى في العراق التي تعنى بحقوق المرأة ، وصدر عددها الأول في ١٥ / تشرين الأول / ١٩٢٣[٤٥] . اهتمت المجلة بالموضوعات الاقتصادية والسياسية والتاريخية ، واتسم قسم من مقالاتها بالجراءة والعمق في سياق الزمان والمكان .

تعد مجلة (ليلى) لصاحبتها (بولينا حسون) نقطة ضوء ساطعة في بدايات تحرك المرأة العراقية ، ونورد هنا رأي احد المتخصصين المعروفين الدكتور (خالد الراوي) الذي عدّ مجلة (ليلى) برأيه من خيرة المجلات التي صدرت على الإطلاق ، ولا تضاهيها حتى مجلات اليوم على الرغم من التقدم الهائل في ميدان الطباعة والتحرير [٤٦] .

بانتهاء السنة الثانية من عمر (ليلى) ، نوهت صاحبتها في احد أعداد جريدة (العالم العربي) أن عدد المجلة الأول للسنة الثالثة سيصدر في الشهر القادم ولكن هذا التنويه لم يطبق لثقل الضغط الذي تعرضت له صاحبة المجلة ، ولكثرة الحملات الصحفية المقامة ضدها ، فاضطرت الآنسة بولينا حسون الى التوقف عن إصدار مجلتها التي عاشت سنتين ، فحزمت أمرها وغادرت العراق الى فلسطين في العام ١٩٢٥ ، ولم تعد بعد هذا التاريخ للعراق [٤٧] .

تجمع حالة (ليلى) بين قطبين ينصبان في مجرى واحد ، المرأة الفلسطينية والمرأة العراقية ، تجسدنا في شخصية نسائية متميزة جمعت في ذاتها أبعاد الصورة القائمة في حين حاولت أن تخترق عبثاً سور العين المنيع بأدوات متواضعة ، لتصطدم بواقع مؤلم دفعتها الى ترك العراق الى الأبد ، لكن التاريخ أنصفها بتسجيله لها ذلك الأثر الرائد الذي تجاوزت به الجميع بمن فيهم السيدة (مريم نرمة) (٤٨) .

بتوقف مجلة ليلى عن الصدور أثر مهاجمة صاحبتها من قبل المتعصبين توقفت الصحافة النسائية وبقيت صامتة حوالي احد عشر عاماً ، ولكنها عادت للظهور أثر التطور الذي رافق الفن الطباعي للصحف منذ عام (١٩٣٠) ، ففي عام ١٩٣٦ صدر العدد الأول من مجلة (المرأة الحديثة) لصاحبتها (حمدية الأعرجي) ورئيس تحريرها (قاسم راجي) تعرضت المجلة في أعدادها الى مواضيع مختلفة منها ما يتعلق بصحة الأم والطفل والمرأة وتطورها والأحوال الاجتماعية فضلاً عن المواعظ والفكاهات والكاريكاتير وباب التدبير المنزلي (٤٩) لقيت المجلة ترحيباً من الصحف الأخرى ، فهذه جريدة (العراق) تثني على المجلة وصاحبتها ، وتلقت المجلة تبرعات مالية أسهمت في تواصل صدور المجلة ، وكان على رأسهم الملكة عالية والأميرة راجحة ومع هذا لم تستطع المجلة من مواصلة عملها إذ توقفت بعد صدور ثمانية أعداد منها فقط وربما يعود سبب ذلك الى عدم قدرة الصحف النسوية منافسة المجلات والجرائد آنذاك لعدم وجود الفئات التي تهتم بقراءة هذه المجلة (٥٠) .

بتوقف هذه المجلة عن الصدور ، صدرت مجلة بديلة عنها صدر عددها الأول في بغداد في ٢٩ / آب / ١٩٣٦ تحت عنوان (مجلة فتاة العراق) لصاحبتها (حسيبة راجي) ورئيس تحريرها (فاضل قاسم راجي) . تعرضت المجلة في أعدادها الى موضوعات مختلفة منها الاجتماعية كموضوع السفور والحجاب ، والموضوعات السياسية المتعلقة بالحكومة العراقية ، فضلاً عن المواضيع المتعلقة بالتربية والتعليم وركن الإعلانات وصفحة الطالبات ، وهي من صفحات المجلة الثابتة التي تحررها أقلام المدارس وتتناول مواضيع مختلفة (٥١) . استمر صدور المجلة أربع سنوات توقفت بعدها عن الصدور نهائياً لأسباب لم تعلنها إدارة المجلة .

وبعد عام من صدور مجلة فتاة العراق ، أصدرت الصحفية الشهيرة (مريم نزمة) (٥٢) جريدة أدبية في ٦ / أيار / ١٩٣٧ عرفت باسم (جريدة فتاة العرب) ، اهتمت الجريدة بمشاكل

المرأة الاجتماعية وخاصة موضوع التعليم ، صدر من الجريدة (٥٢) عدداً فقط ، فقد توقفت بعدها عن الصدور ولم يمضي على صدورها سوى سبعة أشهر فقط ، وعللت صاحبة الجريدة أسباب التوقف بالخسارة المادية التي تعرضت لها والتي بلغت (٤٥) ليرة ذهبية [(٥٣)] .

مع نهاية الحرب العالمية الأولى ، وبتوقف الصحف النسائية السابقة عن الصدور ، ظهرت صحف جديدة منها مجلة الرحاب التي صدر العدد الأول منها في بغداد في ٢ / حزيران / ١٩٤٦ لصاحبتها ومديرتها (أقدس عبد الحميد) ومديرها المسؤول المحامي (محمود عبود الخفاف) استمرت بالصدور بشكل منظم عامين ثم صدرت في فترات متقطعة حتى ألغي امتيازها في ١٧ كانون الأول ١٩٥٤[(٥٤)] .

عالجت المجلة في أعدادها مواضيع متنوعة ، منها السياسية التي تناولت المؤتمرات والأحداث الجارية ، أما الاجتماعية فقد تكرست لمشاكل الزواج والطفولة وغيرها فضلاً عن تناولها المواضيع التاريخية والمحلية وبعد عامين من صدور هذه المجلة ، صدرت مجلة جديدة في أيلول من العام (١٩٤٨) بعنوان (لمجلة بنت الرشيد) لصاحبتها ورئيسة تحريرها الآنسة (درة عبد الوهاب) ، ومديرها المسؤول المحامي (راشد حميد العزاوي) ، اهتمت المجلة بنشر الموضوعات المتعلقة بالحياة الزوجية ، والموضوعات الاجتماعية والأدبية ، وقد غلبت المواضيع الفنية على المجلة التي كادت أن تكون مجلة فنية بحتة . توقفت المجلة عن الصدور بعد عددها الرابع فقط [(٥٥)] .

ولعل أبرز مجلة صدرت في هذه الحقبة هي (مجلة الاتحاد النسائي العراقي) ، التي صدر عددها الأول في مايس ١٩٥٠ لصاحبتها السيدة (آسيا توفيق وهبي) ورئيسة تحريرها (سهيلة منذر) ، وكانت المجلة لسان حال الاتحاد النسائي العراقي الذي يمثل الجمعيات النسوية العراقية ، تميزت المجلة عن غيرها من الصحف النسوية العراقية الصادرة خلال حقبة العهد الملكي بتعدد موضوعاتها التي لم تقتصر على المواضيع المتصلة بعالم المرأة ، بل تعدتها الى موضوعات عامة سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية ، وكانت المجلة حريصة على نشر أبرز نشاطات الجمعيات النسوية ونشر التقارير التي تعطي صورة واضحة على نشاط هذه الجمعيات وبالأرقام الدقيقة [(٥٦)] .

تميزت هذه المجلة ، عن غيرها ، بطريقة تحريرها الجيدة ، وقلة الأخطاء المطبعية وغزارة موضوعاتها ، فكانت بمثابة السجل الذي حفظ لنا أبرز نشاطات الجمعيات النسوية في تلك الحقبة ، والتي لم تتوفر في المصادر الأخرى .

استمرت هذه المجلة بالصدور حتى ألغي امتيازها في ١٧ كانون الأول / ١٩٥٤ ، وعاودت الصدور في العام ١٩٥٨ ، لكنها سرعان ما توقفت بعد أربعة أشهر .

تميزت الحقبة موضوع البحث بتطور الوعي الثقافي للمرأة ، لكن المجلات عانت من ضعف مضمونها وموضوعاتها الهامشية والمتعلقة بالمرأة في غالب موضوعاتها باستثناء مجلة الاتحاد النسائي العراقي التي تجاوزت المألوف في الموضوعات للتطرق لمواضيع شتى وبهذا تكون المجلة الرائدة بين المجلات الأخرى (ليلى) قد تميزت عن غيرها بطرقها لعدد من المواضيع الاقتصادية والسياسية مثل حق المرأة الانتخابي في وقت لم تنل فيه المرأة تحررها الاجتماعية .

الرائدات في مجال الجمعيات النسائية

بتاريخ ٢٤ / ١١ / ١٩٢٣ ولد أول نادٍ نسائي في العراق ، إثر دعوات الشاعر الزهاوي لتحرير المرأة ، فكانت الآنسة (أسماء الزهاوي) رئيسة للنادي ، والتي حاولت الاتصال بقسم من السيدات أمثال السيدة (نعيمة السعيد) شقيقة جعفر العسكري وعقيلة (نوري السعيد) والسيدة (نعيمة سلطان حمودة) عقيلة الشيخ احمد داود والآنسة (حسيبة جعفر بك) والآنسة (بولينا حسون) صاحبة مجلة (ليلى) ، ركز النادي جهوده في أمور ثلاثة ، وسعى لتحقيقها بكل السبل المتاحة وهي : -

١ – فتح دورات لتعليم الأميات .

٢ – خياطة الملابس للنساء الفقيرات .

٣ – تربية وتعليم عدد من الفتيات اليتيمات (٥٧) .

اعترض رجال الدين ، وعدد من شخصيات المجتمع البارزة على فكرة تأسيس النادي بمقالات نشرت على أعمدة الصحف والمجلات فضلاً عن الضغط على عضوات النادي ومناصريه ، فقد عدوا إنشاء النادي أمراً مخالفاً لتعاليم الدين الإسلامي ، ولم يكتفوا بهذا بل كونوا وفداً من رجال الدين لمقابلة الملك فيصل الأول شخصياً طالبين منه غلق النادي فاستجاب الملك لطلبهم

تقديراً منه لوجوب امتصاص نقمة رجال الدين ، مع العلم انه شجع النادي في البداية وتبرع من اجل شراء دار ليتخذه النادي مقراً له (٥٨) .

بهذا أغلق أول نادي نسوي عراقي أبوابه لعدم استطاعته مواجهة خصومه من جهة ، وعدم تقبل المجتمع لهذا النادي من جهة أخرى ، وقد كانت للنادي نشاطات خارجية ، وأن كانت ضئيلة ، لكن هذه النشاطات جاءت جزءاً من عمل النادي الذي عد فرعاً مستقلاً للاتحاد النسائي العربي ، ففي المؤتمر النسائي المنعقد في دمشق في العام ١٩٣٠ ، أرسل النادي من يمثله في المؤتمر وهن السيدة (أمينة الرحال) و (جميلة الجبوري) و (ماري عبد المسيح) (٥٩) ، وقد كانت لهذه المشاركة وقع حسن لأنها المرة الأولى التي تخرج فيها المرأة العراقية بنشاطها من النطاق المحلي الى النطاق العربي .

ومن النساء الرائدات في هذا المجال السيدة (سارة الجمالي) عقيلة السيد فاضل الجمالي التي عزمت على تأسيس جمعية لمحاربة المسكرات وإنقاذ مدمني الخمر ، ومحاربة تجار الخمور في العام ١٩٣٩ ، حددت الجمعية أهدافها بالعمل لبعث أيادي عاملة قوية ، وإعداد أدمغة نيرة جبارة تقاوم سم السكر وتعمل على مكافحة الخمور حفاظاً على نمو العقل الصحيح ، لذلك أدركت أن هناك قاعدة هرمية تمثل مشاكل وأمراض المجتمع وهي الفقر ، المرض ، الجهل ، لذلك ارتأت هيأت الجمعية عام ١٩٤٥ الى إبدال اسم الجمعية الى (جمعية مكافحة العلل الاجتماعية) . التي كان لها نشاط متميز في هذا المضمار فعملت وبالتعاون مع الحكومة بزيارة سجون النساء والمدارس الإصلاحية ، وعملت بمثابة الباحثة الاجتماعية (٦٠) .

ومن النشاطات البارزة لهذه الجمعية ، هي افتتاح مدرسة ثانوية مسائية للإناث ومعهد خاص لفاقدي البصر ومدرسة إصلاحية للإناث ، ومدرسة خاصة لذوي العقول المتخلفة ومشغل خياطة لتعليم الفتيات فن الخياطة .

أما أبرز من عملت في هذا المجال فهي السيدة (آسيا توفيق وهبي) التي أسست الاتحاد النسائي العراقي في العام ١٩٤٤ ، والتي عملت جاهدة من اجل رفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي للمرأة العراقية فقد قامت بإصدار مجلة الاتحاد النسائي التي أسهمت بإيصال صوت المرأة العراقية عربياً وعالمياً واستطاعت الحصول على ركن في الإذاعة العراقية عالجت من خلاله الموضوعات المتعلقة بمشاكل المرأة العراقية (٦١) .

كما عملت عضوات الاتحاد على إنشاء مستوصفات خاصة لمعالجة ورعاية الحوامل الفقيرات وبأحسن الطرق الصحية ومد يد العون لمعاهد العميان ، وكان الاتحاد هو الجهة الوحيدة التي بذلت جهوداً مميزة للمطالبة بحقوق المرأة السياسية ، وذلك عن طريق نشر المقالات والتقدم بالمذكرات لذوي الشأن .

فضلاً عن النشاطات المحلية ، فقد كان للاتحاد نشاطات قومية من خلال الإسهام في الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ من خلال تقديم الهدايا والأطعمة والألبسة للثوار ، فضلاً عن مد يد العون لمصر إثر إعلان العدوان الثلاثي في العام ١٩٥٦ ، والمشاركة في إسعاف المنكوبين في الثورة الجزائرية [٦٢] .

لقد هدفت رئيسة الاتحاد من خلال أعمال الاتحاد الى رفع مستوى الشعب ، وخاصة من الوجهة الصحية والاجتماعية والثقافية ، وسلك السبل للنهوض بالأمة الى أسمى درجات الفلاح .

الخاتمــــة :

خضعت المرأة العراقية لمجموعة من المؤثرات التي لعبت دوراً كبيراً في رسم صورتها في المجتمع ، ومع ذلك فقد أثبتت حضورها الواضح والمستمر فيه ، ففي المجال السياسي لعبت القصائد والهوسات التي كانت تنشدها المرأة دورها في إلهاب حماس المقاتلين ، وبشكل خاص في ثورة العشرين ، وإثر التطورات التي لحقت بالظواهر الاجتماعية – الوطنية ، فقد برز دور جديد للمرأة رافقه تركها للحجاب الذي لم يمثل خروجاً عن القيم الأخلاقية بقدر ما كان تحولاً في طريقة التعبير عن تلك القيم فاصبحت الوطنية بوصفها قيمة أخلاقية عليا تحتل مكانها الى جانب القيم الأخلاقية الأخرى التي طالما تمسك بها المجتمع العراقي ، ومن هنا جاءت مشاركة المرأة المتميزة في الانتفاضات العراقية في الأعوام ١٩٥٢ – ١٩٥٦ .

أما في جانب التعليم ، فقد تخطت المرأة في هذه الحقبة جميع الأسوار لتلتحق بركب التطور فجاء التحاقها بالمدارس الثانوية ، ومعاهد إعداد المعلمات ثم تجاوزتها لتلتحق بالكليات التي استقبلت ، وللمرة الأولى ، النساء في صفوفها لتسجل حضورها المتميز الى جانب الرجل الذي كان مؤيداً لها في بعض المواقف ، ومعترضاً في مواقف أخرى لأن العادات والتقاليد كانت تجد

في خروج المرأة للتعلم أو العمل خارج المنزل خرقاً صارماً لتقاليد المجتمع التي تعد البيت هو مكان المرأة المناسب وانعكس هذا التقدم في الجانب التعليمي ، على مجال العمل الصحفي الذي لسنا فيه تطوراً واضحاً جداً في ظهور عدد من الصحف النسوية التي كانت ظاهرة جديدة في المجتمع العراقي الذي لم يألف هذا التطور الصحفي على يد مجموعة من السيدات الرائدات التي جاوز البعض منهن العمل الصحفي الى تأسيس جمعيات اتخذت من العمل الخيري طابعاً لعملها الاجتماعي .

إن الأسماء اللامعة التي سلطنا الضوء على جانب منها ، وفي بعض المجالات الاجتماعية ، تستحق منا النساء بشكل خاص أن نقف أمام ما قامت به وما واجهته من تحدي كل تقدير واحترام وتثمين لهذا الجهد العظيم الذي فتح الباب واسعاً أمام المرأة العراقية لتثبت نفسها في المجتمع وتستحق أن تكون نصف المجتمع .

الهوامش

(١) نمير طه ياسين ، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩ – ١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٤ ، ص٢٥٦ .

(٢) خيري أمين العمري ، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، د . ت . ص٩٤.

(٣) المصدر نفسه ، ص٩٥ – ٩٦ ؛ نصير طه ياسين ، المصدر السابق ، ص٢٥٦ .

(٤) جرى إحصاء تقديري عامين ١٩٢٧ و ١٩٣٤ ، ثم جرى أول تعداد منظم عام ١٩٤٧ ، ثم جرى تعداد يعد الأفضل عام ١٩٥٧ .

(٥) الجمهورية العراقية ، وزارة الداخلية . مديرية النفوس العامة ، المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧ ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، د . ت ، ص (ب) من المقدمة .

(٦) نشر الدكتور محمد سلمان حسن باكورة أعماله المتعلقة بالاقتصاد العراقي في مجلة الثقافة الجديدة أواخر عام ١٩٥٩ ، ومن ثم ضمنها في كتابه الموثق في التطور الاقتصادي في العراق الذي نشره في بيروت عام ١٩٦٥ .

(٧) محمد سلمان حسن ، التطور الاقتصادي في العراق ١٨٦٤ – ١٩٥٨ ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص٥٣ .

(٨) د . ك . و ، ملفات البلاط الملكي ، ملف رقم ١٢١٢ / ٣١١ ، وثيقة رقم ١١٨ .

(٩) المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧ ، ص (ب) من المقدمة .

(١٠) المصدر نفسه ، ص (ج) من المقدمة .

(١١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر الأرقام الواردة في كتابي الدكتورة نزيهة الدليمي وصبيحة الشيخ داود ، وهي تختلف حتى عن معطيات الإحصاءات الرسمية ، نزيهة الدليمي ، المرأة العراقية ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص٦ ، صبيحة الشيخ داود ، أول الطريق الى النهضة النسوية في العراق ، بغداد، ١٩٥٨ ، ص٣٢٨ .

(١٢) من هذه المدارس مدرسة الراهبات الفرنسيات الابتدائية المؤسسة في العام (١٨٧٨) من قبل بعثة الراهبات الفرنسيات ، وكانت تسير على المناهج الفرنسية المسيحية ، وتدرس اللغات الفرنسية والانكليزية والعربية ، وكان لها فرعان في بغداد ، الأول في منطقة الباب الجنوبي ، والثاني في الكرادة الشرقية ، فضلاً عن فرعيهما في البصرة والموصل . دليل العراق الرسمي لعام ١٩٣٦ ، مطبعة دنكور ، بغداد ، ١٩٣٦ ، ص٧٢٥ .

(١٣) عبد الرحمن سلمان الدربندي ، المرأة العراقية المعاصرة ، ج١ ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص٤٥ .

(١٤) علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص٣٤٧ .

(١٥) لم تحقق هذه المدارس نجاحاً في الوطن العربي كونها كانت تدرس اللغة التركية ، ولخوف الآباء من معلمات هذه المدارس التركيات اللواتي كن سافرات وعلى نحو مختلف مع عادات وتقاليد المجتمع العربي المحافظة . عبد الحميد الفايد ، المرأة وأثرها في الحياة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٩٨ .

(١٦) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٣ ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص٥٨ .

(١٧) عبد الرحمن سلمان الدربندي ، المصدر السابق ، ص٤٦ .

(١٨) باقر أمين الورد ، أعلام العراق الحديث ١٨٦٩ — ١٩٦٩ ، ج١ ، بغداد ، د . ب . ص١٤٨ .

(١٩) عبد الرحمن سلمان الدربندي ، المصدر السابق ، ص٤٧ .

(٢٠) زهرة خضر ، رائدة من رائدات الحركة النسوية في العراق ، وتعد السيدة الاولى التي تفتح مدرسة للاناث ، وهي شقيقة المحامي الشهيد (عبد الرحمن خضر) دورين انغرامز ، الناهضات ، في العراق ، ت : سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١١٩ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص١٢٠ .

(٢٢) عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٤ — ١٩٢١) ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص١٧٢ — ١٧٣ .

(٢٣) التعليم النسوي في العراق بين الامس واليوم ، ((المعلم الجديد)) ، مجلة ، بغداد ، الجزء الاول والثاني ، ايلول ١٩٥٣ ، ص٥ .

(٢٤) باقر امين الورد ، المصدر السابق ، ص١٤١ .

(٢٥) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر السابق ، ص٢٢٢ .

(٢٦) صبيحة الشيخ داود ، المصدر السابق ، ص٨٠ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص٦٠ .

(٢٨) صبيحة الشيخ داود : ولدت في بغداد من اسرة دينية متحمسة لتعليم المرأة ، فوالدها الشيخ احمد داود ، انتسبت لكلية الحقوق في العام ١٩٣٦ ، وتخرجت عام ١٩٤٠ ، عينت بعد تخرجها مفتشاً في وزارة المعارف ، وفي العام ١٩٥٦ عينت قاضياً ، ثم عينت عضواً في محكمة الاحداث عام ١٩٥٨ ، وفي ذات العام اصدرت كتابها الشهير الاول الطريق الى النهضة النسوية الذي تضمن شرحاً لتطوير الحركة النسوية في حقبة العهد الملكي . حميد المطبعي ، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٩٦ ، ص١١٧ .

(٢٩) صبيحة الشيخ داود ، المصدر السابق ، ص٨١ .

(٣٠) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر السابق ، ص٢٥٤ .

(٣١) المصدر نفسه ، ص٢٤٤ و ص٢٥٩ .

(٣٢) المصدر نفسه ، ص٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٣٣) باقر امين الورد ، المصدر السابق ، ص٢١٣ .

(٣٤) فريق المزهر ال فرعون ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها ، الجزء الاول ، مطبعة النجاح ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص٤٩٦ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص٤٩٧ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص٤٩٨ .

(٣٧) ستار جبر ناصر ، هوامش على كتاب علي الوردي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) ، الجزء الخامس ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص١٣٠ .

(٣٨) فريق المزهر ال فرعون ، المصدر السابق ، ص٤٩٩ .

(٣٩) الشيخ احمد داود : من مواليد بغداد ١٨٧٥ ، ينتمي الى اسرة من العلماء ، كان والده مدرساً معروفاً في بغداد درس على يديه معظم الرجال من جبل احمد ، كان وطنياً بارزاً ، القي القبض عليه خلال ثورة العشرين ونفي الى جزيـ ة هنجام ، وسمح له بالعودة الى بغداد في شباط (١٩٢) . انتخب لعضوية

المجلس التأسيسي في اذار ١٩٢٤ ، وعضواً في مجلس النواب في العام ١٩٣٣ . نجدة فتحي صفوة ، العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦ ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٨٣ ، ص٥٧ .

(٤٠) صبيحة الشيخ داود ، المصدر السابق ، ص٣٠ .

(٤١) د . ك . و ، وزارة المعارف ، ملفة ٧٠١ ، ٣٢١٢٠ ، العدد ٢٥ / ١ / ٣٨٠ . تاريخ ١٦ / ٣ / ١٩٥٣ ، وثيقة رقم (١٥٣) .

(٤٢) المصدر نفسه ، وثيقة رقم (١٥٨) ، مديرية المعارف العامة ، الكتاب المرقم (٣٥٠) في ١٢ / ٣ / ١٩٥٣ .

(٤٣) انوار حلمي : ولدت في بغداد عام ١٩٣٣ وتخرجت من كلية الاداب قسم التاريخ في العام ١٩٥٧ ، ساهمت في المظاهرات الطلابية في الاعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ ، ولها اسهامات في جمعية الهلال الاحمر في الاعوام ١٩٥٥ و ١٩٥٦ . مكتبة متحف المرأة ، وثيقة رقم (٤٩٣ / ١٥) التسلسل ١٨٨ .

(٤٤) سعاد خيري ، من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق ، ١٩٢٠ — ١٩٥٨ ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص٢٩٢ .

(٤٥) عبد الرزاق الحسيني ، تاريخ الصحافة العراقية ، مطبعة العرفان ، ط٣ ، صيدا ، ١٩٧١ ، ص٤٣ .

(٤٦) خالد حبيب الراوي ، من ارشيف الصحافة العراقية ، ص٩٥ .

(٤٧) المصدر نفسه ، ص٩٩ .

(٤٨) ما زال الوسط الصحفي غير متفق على اول صحيفة عراقية فقسم يذكر انها السيدة مريم نرمة والاخر يؤكد بولينا حسون ، على ان من الثابت تاريخياً ان السيدة مريم نرمة مارست العمل الصحفي منذ عام ١٩١٩ عندما نشرت مقالات سياسية ضد البريطانيين في الحقبة التي كانت مقيمة مع زوجها في البصرة ، ولكن الانسة بولينا حسون تعد رائدة في مجال الصحافة النسائية لانها اصدرت اول مجلة نسائية ، وهي بذلك سبق السيدة (مريم نرمة) باكثر من عشر سنوات في اصدار مجلة خاصة بها ، فالسيدة مريم اصدرت مجلتها (فتاة العرب) في العام ١٩٣٧ . حسن علي الحلي ، الصحافة النسائية في العالم العربي ، مجلة المرأة ، بغداد ، العدد ١١ ، ١٩٧١ ، ص٤٥ .

(٤٩) مجلة المرأة الحديثة ، بغداد ، العدد الاول ١٧ حزيران ، ١٩٣٦ .

(٥٠) خالد حبيب الراوي ، المصدر السابق ، ص٤٨ .

(٥١) مجلة فتاة العراق ، بغداد ، العدد (٦) ، ٧ تشرين الثاني ، ١٩٣٦ .

(٥٢) مريم نرمة : ولدت في بغداد عام (١٨٩٠) ، والدها رفائيل يوسف رومايا ، تعد من اقدم الصحفيات في العراق والتي مارست العمل الصحفي منذ عام ١٩٢٠ ، اقيم لها في ١٩ مايس ١٩٤٥ احتفالاً

بمناسبة اليوبيل الفضي لمشاركتها في النشاط الادبي عن طريق الصحافة . صبيحة الشيخ داود المصدر السابق ، ص٢٠٧ .

(٥٣) فائق بطي ، الموسوعة الصحفية العراقية ، مطبعة الاديب البغدادية ، ١٩٧٦ ، ص١٣٦ .

(٥٤) المصدر نفسه ، ص١٧٧ .

(٥٥) المصدر نفسه ، ص١٩٠ .

(٥٦) مجلة الاتحاد النسائي العراقي ، بغداد ، العدد الاول ، مايس ١٩٥٠ ، ص٣ .

(٥٧) ابراهيم خليل احمد ، الجمعيات والنوادي الثقافية والاجتماعية ، (حضارة العراق) ، ج١٣ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١٥٣ .

(٥٨) عبد المجيد كامل التكريتي ، الملك فيصل ودوره في تاسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ — ١٩٣٣ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص١٥٣ .

(٥٩) المصدر نفسه ، ص١٥٤ .

(٦٠) عبد الرحمن سلمان الدربندي ، المصدر السابق .

(٦١) عصمت السعيد ، هدفنا مستوى الشعب ، مجلة الاتحاد النسائي العراقي ، بغداد ، العدد الثالث والعشرون والرابع والعشرون ، آذار ونيسان ، ١٩٥٢ ، ص٩ .

(٦٢) صبيحة الشيخ داود ، المصدر السابق ، ١٧٧ .